مذبحة صبرا وشاتيلا : الذاكرة والدور الإسرائيلي

ناهض زقوت (*)

قاتل يدلى بسكين
وقتلى / يدلون بالأسماء :
صبرا / كفر قاسم / دير ياسين / شاتيلا ؟
(محمود درويش : مديح الظل العالي)

منذ يزيد على نصف قرن ، والشعب الفلسطيني يدلي بأسماء ضحاياه في المذابح التي ارتكبتها إسرائيل ضده ، فالكيان الإسرائيلي نفسه قام على أشلاء وجثث الفلسطينيين فقد قال مناحيم بيغن " لولا مذبحة دير ياسين ما قامت دولة إسرائيل ". إن أعمال السيف في رقاب الفلسطينيين لم يأت من تصرفات جنود ارتعبوا في الميدان ، بل هي عقيدة توراتية ، تمثلت في ذبح سكان كل قرية تطأها أقدام جنود بني إسرائيل.

وتأتي الذكرى الرابعة والعشرين لمذبحة صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في بيروت الغربية (١٦ـ ١٨ / ٩ / ١٩٨٢) لتفتح جراحا وذكريات لم تندمل على ممارسات إسرائيل ضد الفلسطينيين من عام ١٩٤٨ وصولا إلى اليوم . فمازال القتل مستمرا بالفلسطينيين تحت أنظار المجتمع الدولي الذي لم يحرك ساكنا ، لأنه مازال يرى الوقائع بأعين إسرائيلية .

صدرت العديد من الكتب والمقالات والدراسات حول مذبحة صبرا وشاتيلا ، ولكن أهم الكتب التي صدرت كتاب : " صبرا وشاتيلا ـ أيلول ١٩٨٢ " للباحثة " بيان نويهض الحوت " ، وكتاب " تحقيق حول مجزرة صبرا وشاتيلا " للكاتب الإسرائيلي المناصر للقضية الفلسطينية " أمنون كابليوك " . قد اعتمدنا كثيرا على هذين الكتابين في دراستنا .

ينفي " كابليوك " اشتراك الجنود الإسرائيليين في المذبحة ، ولكنه لا ينفي مسؤولية القيادة الإسرائيلية (مناحيم بيغن ، ارئيل شارون ، روفائيل إتيان) عن المذبحة ، إذ يشير في تحقيقه إلى اجتماعات هؤلاء القادة الإسرائيليين مع قيادة الكتائب المارونية (فادي افرام ، وايلي حبيقة) للتنسيق حول دخولهم لمخيمي صبرا وشاتيلا بعد دخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت الغربية .

وتقول بيان الحوت :" لم تنكر إسرائيل يوما إشرافها على المخيمات في أيام المجزرة ، وهي التي طوقها منذ الساعات الأولى ، غير أنها أنكرت معرفتها بأنه كان هناك مجزرة . ولكن الواضح من شهادات السكان التي قدمتها (الحوت) أن الجنود كانت لديهم معلومات حول ما يحدث أو ما سوف يحدث في صبرا وشاتيلا . ونلمس أيضا في السرد التاريخي في الكتابين

تقاعس الجيش اللبناني عن حماية اللاجئين الفلسطينيين ، وتراجعه أمام القوات الإسرائيلية أثناء دخولها لبيروت الغربية ، والدعم الإسرائيلي الكامل للكتائب في دخول المخيمين .

في أواخر آب أغسطس ١٩٨٢ ، تم ترحيل قوات الثورة الفلسطينية من بيروت تحت الحماية الدولية ، بعد الاتفاق المكتوب بين قيادة الثورة وفيليب حبيب الوسيط الدولي ، حول حماية مخيمات اللاجئين ، وعدم السماح للقوات الإسرائيلية بدخولها . ولكن إسرائيل كعادتها في نقض المواثيق والعهود ، نقضت اتفاقها وهاجمت مخيمات اللاجئين في بيروت الغربية ، يقول فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لـ (م.ت.ف) آنذاك لقد أعطونا كلمة شرف بأن إسرائيل لن تدخل بيروت الغربية ، إلا أنهم خانوا وامتهنوا كلمتهم " .ويؤكد " صائب سلام " رئيس وزراء لبنان الأسبق والوسيط في تفاهمات حبيب ، قائلا : " إن دخول إسرائيل إلى القسم الغربي من المدينة هو انتهاك للاتفاقيات المعقودة ".

ما هدف إسرائيل من دخول بيروت الغربية ؟ لقد ادعت إسرائيل أن دخولها كان بهدف (تطهيرها من الإرهابيين) ، في حين لم يكن تبقى من الثورة الفلسطينية إلا التنظيمات اللبنانية التي كانت تساند الثورة ، وهي لا تمثل قوة تخشاها إسرائيل ، وحين دخل الجيش الإسرائيلي إلى بيروت لم يواجه مقاومة عنيفة ، وبعد ثلاثين ساعة كان مسيطرا تمام السيطرة على بيروت .

إن دخول القوات الإسرائيلية بيروت الغربية ، كان عن نية مسبقة لدى القيادة الإسرائيلية، لهذا فور رحيل القوات الفلسطينية ، طلبت إسرائيل من الولايات المتحدة سحب القوات الدولية ، وخاصة القوات الفرنسية التي أبقتها الحكومة اللبنانية لمساندة الجيش اللبناني في فرض سيطرته على بيروت الغربية ، إلا أن القوات الفرنسية غادرت لبنان في ٩/١٣ تحت الضغط الأمريكي . وقد برر الرئيس الأمريكي ريغان دخول القوات الإسرائيلية لبيروت، قائلا: "بأن إسرائيل اضطرت للتقدم بسبب هجوم إحدى المليشيات اليسارية التي لا تزال على الساحة".

وتسلم الجيش اللبناني مواقع القوات الفرنسية على مفارق الطرق والشوارع المؤدية إلى بيروت الغربية . وحين تقدمت القوات الإسرائيلية تراجع الجيش اللبناني مخليا الأماكن والمواقع للجيش الإسرائيلي ، دون إطلاق رصاصة واحدة عليهم . هل كان ثمة اتفاق ما مع الحكومة اللبنانية ، بترك موضوع بيروت الغربية للجيش الإسرائيلي (لتطهيرها) من الفلسطينيين ؟

إسرائيل / الكتائب :

تعود علاقة قوات الكتائب بإسرائيل إلى عام ١٩٧٦ ، حيث ساندتهم إسرائيل في مذابح تل الزعتر ، مقابل خدمات أمنية وسياسية تقدمها الكتائب لإسرائيل في لبنان . وقامت إسرائيل بتنظيم دورات تدريبية مكثفة لعناصر الكتائب داخل معسكرات إسرائيلية ، ومن الذين تلقى تلك

الدورات " ايلي حبيقه " قائد مذبحة صبرا وشاتيلا ، وتشير الصحافة الأمريكية إلى علاقته بالمخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلي . كان الحلم الكتائبي المسيحي دائما يسعى إلى تخفيض عدد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان إلى (٥٠ ألف) لاجئ ، بحيث لا يتسببون بخلق اضطراب في التوازن السكاني بين المسيحيين والمسلمين ، خاصة وأن غالبية اللاجئين من المسلمين ، وكذلك نقض الوضع الخاص الذي يتمتع به الفلسطينيون في لبنان (اتفاقية القاهرة ١٩٦٩) وإخضاعهم للقوانين العامة المتعلقة بالأجانب ، وكذلك لإرغامهم على التخفيف أو الحد من نشاطهم السياسي والعسكري .

وكانت مصلحة إسرائيل هي ترحيل اللاجئين الفلسطينيين من الجنوب إلى الشمال اللبناني وإبعادهم عن الحدود الشمالية لإسرائيل .

وبذلك اتفقت الرؤيتين إذ أعرب قائد القوات الكتائبية عن أمنيته في أن " يحمل الفلسطينيين في الشاحنات ويرميهم خارج لبنان " . وقال الوزير الإسرائيلي دان ميريدور في اجتماع الحكومة الإسرائيلية ، أنه " يسعى إلى ترحيل اللاجئين من الجنوب إلى الشمال ".

ومما زاد الحقد الكتائبي الإسرائيلي على الفلسطينيين ، عملية اغتيال الرئيس الكتائبي الجديد للبنان بشير الجميل ، وهو من أشد حلفاء إسرائيل ومن أكثر المتعاونين معها ، وقد شكل اغتياله ضربة قاصمة لإسرائيل ، إذ كانت تأمل أن يوقع معاهدة سلام معها . وكان " الجميل " من أشد الكارهين للشعب الفلسطيني حتى اعتبرهم شعبا زائدا يجب التخلص منهم .

وبهذا التقت المصالح الإسرائيلية – الكتائبية ضد اللاجئين الفلسطينيين . مما دفع إسرائيل لمنح الكتائب دورا في عملية دخول بيروت الغربية . إذ اجتمع رافائيل اتيان رئيس هيئة الأركان وأمير دروري قائد المنطقة الشمالية ، مع فادي افرام القائد العام لميلشيات الكتائب ، وايلي حبيقة مسؤول المخابرات ، يوم ١٥ / ٩ . ولم ينكر " شارون " أمام الكنيست هذا الاجتماع ، إذ قال إن " مبدأ دخول الكتائب إلى مخيمات اللاجئين في بيروت نوقش". وأضاف أن القائد الإسرائيلي للجبهة الشمالية تلقى تعليمات " تحظر على قوات الجيش الإسرائيلي الدخول إلى مخيمات اللاجئين ، فعملية تمشيط هذه المخيمات وتطهيرها سيتولاها الكتائبيون ".

هل تم الاتفاق بين الإسرائيليين والكتائب على ذبح الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا في هذا الاجتماع المذكور قبل ساعات من دخول بيروت الغربية ؟ ويتضح من خلال الدعم المادي والمعنوي الذي قدمه الإسرائيليون للكتائب ، أن ثمة اتفاقا ما قد تم في هذا الاجتماع ووضعت فيه خطة الهجوم والتنفيذ بالتنسيق والتعاون اللوجستي مع الإسرائيليين . يقول الجنرال أمير دروري قائد المنطقة الشمالية أمام لجنة التحقيق الإسرائيلية ، أنه " ظل على اتصال دائم بالكتائب من أجل الإعداد لدخولهم إلى المخيمين ".

لماذا لم تتولى القوات الإسرائيلية مهمة (تطهير) مخيمي صبرا وشاتيلا من الفدائيين وأوكلت هذه المهمة للكتائب كأداة تنفيذية ، يعود هذا الأمر إلى عدة أسباب :

١ـ هذه مهمة قذرة ، لا يريد الجيش الإسرائيلي أن يلوث سمعته بها أمام شعبه الكاره للحرب ، وعليه يقوم بتنفيذها عملاء لديهم يتحملون مسؤوليتها التاريخية .

٢ـ ولكي يثبت للعالم أن إسرائيل ليست هي من يقوم بعمل المذابح ، إنما جهات أخرى ، ويتم اتهام إسرائيل بها .

٣ـ حقد الكتائب على الفلسطينيين منذ الحرب الأهلية ، ودفعهم للانتقام منهم وتحميلهم مسؤولية مقتل بشير الجميل .

٤ـ التحالف والتعاون الإستراتيجي (المهمات القذرة) بين إسرائيل وقوات الكتائب .

٥ـ إظهار إسرائيل بالمظهر الأخلاقي ، الحضاري التي لا تقتل المدنيين مما دفع مناحيم بيغن إلى التبجح بعد انكشاف المذبحة ، قائلا :" غوييم يقتلون غوييم ، ويتهمون إسرائيل ".

والسؤال الذي يطرح نفسه ، لماذا تم اغتيال ايلي حبيقة في بيروت ، أثناء التحركات الفلسطينية لمحاكمة شارون كمجرم حرب لدوره في مذابح صبرا وشاتيلا ، حسب القانون الدنماركي ، وحين طلب قاضي الإدعاء استدعاء " حبيقة " للشهادة في موضوع الدعوة ، تم اغتياله . وكذلك إعلان " حبيقة " نفسه ، أنه بصدد كتابه مذكراته وشهادته حول أحداث صبرا وشاتيلا ، مما يؤكد اطلاع " حبيقة " على معلومات ووقائع حاولت إسرائيل إخفائها باغتياله ، وهذه المعلومات في رأينا تتعلق بما دار في الاجتماع المذكور قبل ساعات من دخول بيروت ، أو بالاتفاق الإسرائيلي مع الكتائب على ارتكاب مذبحة لدفع اللاجئين إلى الرحيل ، خصوصا أن إسرائيل أنكرت دعمها للكتائب في ذبح الفلسطينيين .

المسؤولية : إسرائيل / الكتائب:

يقول اتيان هبر المراسل العسكري لجريدة " يديعوت أحرنوت " : " منذ زمن طويل والسلطات العليا في الجيش الإسرائيلي تعرف أن المقاتلين الكتائبيين (إذا جاز تسميتهم بمقاتلين) ليسوا سوى عصابة من الشبان وغير الشبان ، وأن مستواهم القتالي هو أقرب إلى الجبن والتخاذل ، وأخلاقيتهم مشكوك فيها ، والذين منهم أقاموا حواجز أثناء حصار بيروت ، كان (الإرهابيون) يرتشونهم ، فيغضون النظر عن مرور الغذاء ومواد أخرى محظورة مقابل مبالغ معينة من المال ، أنهم رعاع في هيئة تنظيم ببزاتهم العسكرية وآلياتهم ومخيمات التدريب ، وقد ارتكبوا فظائع بشعة " .

وقد خبرت إسرائيل تلك الأخلاق الفاسدة لقوات الكتائب ، إذ شاركوا الجيش الإسرائيلي في الحرب في بعض المناطق اللبنانية ، وتلقت القيادة الإسرائيلية شكاوي عديدة ضد أعمال العنف والاغتصاب والسرقة والنهب التي كان يقوم بها الكتائبيون في الأراضي التي يحتلها الجيش الإسرائيلي ، وتحدثت الصحافة الإسرائيلية عن هذه الانتهاكات . يقول ضابط إسرائيلي عنهم : " أنهم يتظاهرون بمظاهر البطولة والمرجلة أمام المدنيين العزل من السلاح " . ويقول آخر :" كانوا يقتفون أثر الجيش الإسرائيلي ويقتلون وينهبون على طريقتهم . وقد أبادوا بوحشية سكان قرية الخيام ، ونهبوا كل ممتلكات الأهالي ونقلوها في شاحناتهم .

والكتائبيون أنفسهم لم يحاولوا أبدا أن يخفوا على الإسرائيليين عزمهم على تقتيل الفلسطينيين . وقد نشرت الصحافة الإسرائيلية الكثير من هذه الشهادات . ومن أشد الشهادات وقعا الحادثة التي رواها النائب " امنون روبنشتاين (عضو شينوي) ، فقد ذكر في جلسة الكنيست التي خصصت لمذابح صبرا وشاتيلا ، أنه قام مع بعض النواب الإسرائيليين بجولة في جنوب لبنان بعد أن احتلته إسرائيل ، وأنه في هذه الجولة التقى ببعض الكتائبيين الذين لم يترددوا في الكشف عن نيتهم بتقتيل الفلسطينيين ، إذ قال له أحدهم :" موت فلسطيني واحد ، هذا تلوث ، وموت جميع الفلسطينيين ، هذا هو الحل " . ونقرأ في أسبوعية " باماهانا " الناطقة بلسان الجيش الإسرائيلي في عدد (١٩٨٢/٩/١) أي قبل أسبوعين من المذبحة ، وما قاله ضابط إسرائيلي كبير سمع كلاما دمويا من فم ضابط كتائبي ، يقول : السؤال الذي نطرحه على أنفسنا هو : بماذا نبدأ ؟ هل نبدأ بالاغتصاب أم نبدأ بالقتل ؟ .. ولو أن عند الفلسطينيين ذرة من العقل لوجب عليهم أن يحاولوا أن يرحلوا عن بيروت ، فأنتم لا تتصورون المجزرة التي ستحل بالفلسطينيين المدنيين والإرهابيين الذين سيبقون في المدينة .

والسؤال ألم ينقل هذا الضابط الكبير ما سمعه إلى قيادته عن نوايا الكتائبيين ؟ ألم تقرأ قيادة إسرائيل كلام الضابط ، لتعرف أهداف قوات الكتائب ؟

تلك هي الأخلاق التي خبرتها إسرائيل عن قوات الكتائب ، ومع هذا نسقت معها ودعمتها في دخول مخيمي صبرا وشاتيلا ، كأداة تنفيذية . لهذا عندما علم ضابط إسرائيلي بقرار شارون السماح للكتائب بالدخول إلى المخيمين ، قال : " إن الذي يجلب الثعلب إلى قنه ، فلا يحق له أن يتعجب إذا أكل الثعلب الدجاجات .

ومن الواضح أنها هي التي دفعته عن تخطيط مسبق لذبح الدجاجات ، فكل الدلائل تشير إلى معرفة القيادة الإسرائيلية بأمر المذبحة ، وبما يفعله الكتائبيون طوال أربعين ساعة في المدنيين من ساكني صبرا وشاتيلا . ومهما حاولت الصحافة الإسرائيلية وإذاعة الجيش الإسرائيلي ، إعفاء إسرائيل من تهمة ارتكاب مذبحة وإلصاقها بالكتائب إلا أنها تبقى هي

المسؤولة مسؤولية مباشرة عن قوات الكتائب وعن أفعالها وتصرفاتها ، فهي التي دفعتهم ونسقت معهم لدخول المخيمين ، وتملك عليهم السيطرة.

المذبحة : إسرائيل / الكتائب:

في ظهر الأربعاء ٩/١٥ ، طوقت الدبابات الإسرائيلية مخيمي صبرا وشاتيلا ، اللذين لا تفصلهما عن بعضهما حدود واضحة ، وصوبت مدافعها عليهما ، وبدأ الجيش الإسرائيلي في إقامة الحواجز حول المخيمين ، وإغلاق الطرق والمنافذ المؤدية إليهما ، ولم تواجه إسرائيل أية مقاومة عنيفة ، إذ لم يكن في المخيمين أية مظاهر مسلحة بعد رحيل المقاتلين ، وكان أغلب سكانه من الشيوخ والنساء والأطفال الفلسطينيين واللبنانيين وبعض الجنسيات الأخرى ، وهؤلاء لا يملكون حولا ولا قوة أمام الجيش الإسرائيلي أو غيره .

وقد حضر شارون في ساعات الصباح ليدير بنفسه عملية إحكام الحصار حول بيروت بعد احتلالها ، فنزل في مقر القيادة الإسرائيلية ، وبحضور الجنرالين اتيان ودروري اتصل شارون بمناحيم بيغن ، وقال له : " قواتنا تتقدم نحو أهدافها ، استطيع أن أراها بأم العين " . أقام الإسرائيليون مركزا للمراقبة وللقيادة على سطح إحدى البنايات العالية (٧ طوابق) بالقرب من مفرق السفارة الكويتية ، على بعد ٢٠٠م من صبرا وشاتيلا . ومن هناك يستطيع الناظر مراقبة بيروت ومخيمي صبرا وشاتيلا مراقبة دقيقة . وشهادة شارون خير دليل ، وكذلك يقول أحد الضباط الإسرائيليين من الذين تواجدوا على سطح إحدى البنايات :" كنا نرى كما يرى شاهدو الصف الأول خشبة المسرح ، المواقع الإسرائيلية المتقدمة ، ومواقع المظليين ، قريبة جدا من حدود المخيمين اللذين تسيطر عليهما مدافع دبابات " مركافا " . والكتيبة ٥٠١ من الجيش اللبناني تقف على مفرق السفارة الكويتية " .

وكان المتواجدون على سطح المبنى مزودين بمناظير تقرب المسافات وتسمح بالرؤية في الظلام . ألم يشاهدوا تفاصيل المذبحة ؟

وبعد أن شرب شارون كأس نجاح قواته في احتلال بيروت الغربية ، أصدر الناطق باسم الجيش بيانا يعلن فيه :" أن جيش الدفاع يسيطر على جميع النقاط الإستراتيجية في بيروت وأن مخيمي اللاجئين وفيهما تجمعات الإرهابيين ، محاصران ومقفلان ." وكانت تلك إشارة الجيش وقيادته ، لإقناع الرأي العام الإسرائيلي والغربي ، أن ثمة مقاومة في صبرا وشاتيلا ، وذلك تمهيدا لما سيحدث فيهما .

وفي صباح يوم ٩/١٦ كان ثمة اجتماع هام في مقر القيادة العامة الإسرائيلية ، تولى فيه الجنرال اتيان شرح مهمات الكتائبيين في المخيمين ، واشترك في الاجتماع الجنرال ساييني رئيس المخابرات العسكرية ، ورئيس جهاز الأمن الداخلي (شين بيت) ، واحد كبار موظفي الموساد .

وعند الظهر ، استقبل الجنرال دوري في مقر قيادته ، رئيس القوات الكتائبية فادي افرام، وسأله إذا كان رجاله على استعداد للدخول إلى صبرا وشاتيلا ، فأجابه " افرام " : نعم و حالا . عندئذ أعطاه الضوء الأخضر .

وفي الساعة الثالثة ، التقى الجنرال أموس يارون ، آمر القوات الإسرائيلية في بيروت ، بكل من ايلي حبيقة وفادي افرام ، ووضعوا اللمسات الأخيرة بواسطة الصور الفوتوغرافية الجوية التي قدمتها إسرائيل ، على مخطط اقتحام المخيمين . وأكد الجنرال الإسرائيلي لهما بأن قواته ستقدم كل الدعم اللازم لتنفيذ المهمة .

وتلقى الجنود الإسرائيليون الذين أقاموا الحواجز على مداخل صبرا وشاتيلا ، الأوامر بواسطة أجهزتهم اللاسلكية ، بأن يتركوا القوات الكتائبية تدخل إلى المخيم .

وبعد ذلك اتصل الجنرال دروري بالوزير شارون ليخبره " أصحابنا يتقدمون في المخيمين ، لقد نسقنا عملية دخولهم " ، أجاب شارون "تهانينا ، تمت الموافقة على عملية أصحابنا " . ولكن ما لم يخبره دروري لشارون ، ما سمعه من المسؤولين الكتائبيين ، وهو أنه " سيصير في المخيمين كسر عظم ". لأن القيادة الإسرائيلية تعلم بما سيفعله الكتائبيون ، فقد وصلتها العديد من التقارير ، من الضباط الذين كانوا على اتصال دائم مع الكتائب ، تفيد بأن الكتائبيين يقولون :" سنذبحهم كلهم ، سنجعل الدم يسيل حتى الركب ". كما أن عناصر الكتائب لم يخفوا مهمتهم أمام الصحافة الإسرائيلية ، ومما قالوه للصحافيين ـ كما يقول صحافي : " سنذبحهم " سنن ... أمهاتهم وأخواتهم "، وللتأكيد ، كانوا يضيفون الحركة إلى الكلام ، ويمرون بأصبعهم على رقبتهم للإفصاح عن نياتهم . وقال أحدهم : " هذه حصتنا من المعركة ". هذه التقارير وغيرها ، ألم تجعل القيادة الإسرائيلية تعدل عن قرارها بإدخال الكتائب إلى المخيمين ، بعد أن عرفت نواياهم ، إذا لم يكن لديها هي النية المسبقة والمخطط لها بذبح الفلسطينيين ، لبث الرعب في قلوبهم ودفعهم إلى الرحيل ، بأيدي غيرها .

ودخلت قوات الكتائب إلى المخيمين على متن سيارات جيب عسكرية زودهم بها الجيش الإسرائيلي ، وبلباسهم العسكري المميز ، ويحمل بعضهم فؤوسا وفراعات (بلطات) وسواطير . فقد أعطي المهاجمون تعليمات أهمها أن كل شيء يجب أن يتم بهدوء ، ولذلك يجب استعمال الحراب والسكاكين ، وعدم إطلاق الرصاص إلا عند الضرورة ، خشية أن ينتبه السكان لما يجري .

وتتطابق شهادات السكان حول هوية القتلة ، أنهم بأكثريتهم الساحقة عناصر من القوات اللبنانية ، التي تتألف بشكل أساسي من ميلشيا حزب الكتائب (أسسه بيار الجميل عام ١٩٣٦) ، ومن ميليشيا النمور الأحرار التابعة لحزب الوطنيين الأحرار (بزعامة كميل شمعون) ، ومن عناصر من قوات سعد حداد ، ومن مجموعة يمينية متطرفة أطلقت على نفسها اسم " حراس الأرز " (بزعامة ايتان صقر) . بالإضافة إلى ضباط إسرائيليين ، وهذا ما أكده أحد المهاجمين من النمور الأحرار ، لمجلة دير شبيغل الألمانية ، إذ قال :" إن أكثر من اثني عشر إسرائيليا انضموا إليهم باللباس الكتائبي الأخضر ، يوم الأربعاء (٩/١٥) ، يوم تجميعهم وإعطائهم التعليمات في وادي شحرور قرب بيروت . وقد وصف هؤلاء الإسرائيليين بأنهم كانوا يتكلمون العربية بطلاقة مع استثناء حرف " الحاء " الذي يلفظونه " خاء " . ولم ينس أن يذكر ما شرحه لهم الضابط : الأصدقاء الإسرائيليون الذين سيرافقونكم هم أيضا سيذهبون بحرية قرارهم ، ومن غير علم جيشهم ، سوف يسهلون عليكم المهمة " . وقد تولى قيادة المذبحة الكتائبي" ايلي حبيقة "

هل يعقل أن يلتحق ضابط أو جندي إسرائيلي بوحدات أخرى مقاتلة دون علم قيادته ، وفي رأينا أن هؤلاء مثلوا ضباط اتصال مع القيادة الإسرائيلية لاطلاعهم على الأوضاع أولا بأول ، مما يؤكد اطلاع القيادة الإسرائيلية على مجريات الأحداث في صبرا وشاتيلا .

وقد وصف بعض الناجين المذبحة ، قائلين : كانوا يطلقون النار على كل من يتحرك ، وكانوا يحطمون أبواب البيوت ويجهزون على عائلات بكاملها وهي تستعد لتناول طعام العشاء ، كثيرون قتلوا وهم في أسرتهم وفي ثياب النوم ، أطفال في الثالثة أو في الرابعة من أعمارهم هم أيضا في ثياب النوم ، قتلوا في حراماتهم وأغطيتهم ، وأحيانا لم يكتف القتلة بالقتل ، بل كانوا يقطعون أعضاء ضحاياهم قبل أن يجهزوا عليهم ، ويحطمون رؤوس الأطفال والرضع على الجدران ، أو شقهم نصفين ، ويغتصبون النساء والفتيات الصغيرات قبل أن يقطعوهن بالبلطة ، وأحيانا كانوا يجرون الرجال إلى خارج المنزل ويطخونهم في وسط الشارع ، وكانوا يتركون واحدا من أفراد العائلة على قيد الحياة ، ويقتلون الآخرين أمام عينيه ليذهب ويخبر ما عاش وشاهد .

لقد قتلوا بالفأس والفراعة وبالساطور ، وبالرصاص ، ولم يفرقوا بين الرجال والنساء والأطفال والشيوخ ، كما لم يفرقوا بين مسلم ومسيحي ، ولا بين لبناني وفلسطيني ، كل من يعيش في صبرا وشاتيلا يجب أن يلقى نفس المصير ، على حد قول أحد القتلة ، ولم يكتف القتلة بالتعذيب والتقتيل ، بل عمدوا إلى النهب والسلب أيضا ، فقد عثر على أيدي نساء مقطوعة عند المعصم ليستولوا على الجواهر ، كذلك نهبوا الأموال الموجودة في البيوت .

ومن حين لآخر ، كان القتلة يقومون بمراقبة أكوام الجثث ، فإذا لاحظوا بينها جريحا ما زال يتحرك ، قتلوه فورا ، وكثيرا ما كانوا يرسمون بالسكين صليبا على جثة الضحايا ، وفي حالات أخرى ، ربطوا الضحايا بسياراتهم وجروهم في الشوارع ، وهم مازالوا على قيد الحياة ، كما اقتحموا المستشفيات وقتلوا وعذبوا الأطباء والممرضين والمرضى ، واغتصبوا الممرضات

وقامت مجموعة بإعداد حفر كبيرة لدفن مئات الجثث المبعثرة في المخيم ، في محاولة لإخفاء جريمتهم . وكذلك قامت الجرافات التي زودهم بها الجيش الإسرائيلي ، بحفر مقابر جماعية أخرى جنوب شاتيلا في منتصف المسافة الفاصلة بين موقع إسرائيلي والقيادة العامة للجيش الإسرائيلي . ومن المستحيل ألا يكون الإسرائيليون قد لاحظوا ذلك؟

وكانت البولدوزورات تهدم البيوت على سكانها ، وكان القتلة ينزلون إلى الملاجئ ليسحبوا ضحاياهم منها ، أو قتلهم في الملاجئ .

وقد ظل رجال الكتائب يقتادون أعدادا كبيرة من سكان المخيمين ، ثم يختفي هؤلاء الأشخاص ، إذ كانوا يكدسونهم في الشاحنات التي تنطلق إلى أماكن مجهولة ، وما زال أحد أكثر أسرار هذه المذبحة غموضا هو سر هؤلاء المختفين ، والذين لم يعرف أبدا عددهم الصحيح ، وعلى طول الطريق المؤدية إلى الجنوب عثر على جثث كان كل شيء يدل على أنها ألقيت من الشاحنات التي مرت بالأوزاعي وخلدة وحارة الناعمة وكفر شيما ، كما عثر على جثث أخرى على طريق المطار . ألم تخرج هذه الشاحنات عبر حواجز الجيش الإسرائيلي ؟ ألم يقدم جنود الحواجز تقاريرهم عن تلك الشاحنات إلى قيادتهم ؟ يقول أحد الجنود :" كان بالإمكان وقف المذبحة منذ مساء الخميس ، لو أنهم أخذوا بالاعتبار كل ما قلناه ونقلناه لضباطنا ".

إن كل الشهادات حول سلوك المهاجمين داخل المخيمين تتفق وتتطابق بأن العملية مدبرة ومخططة ومنفذة بهدوء أعصاب وبدم بارد ، ولا يمكن تفسير فظاعة الجريمة / المذبحة ، من تمزيق الجثث ، وتقطيع الأعضاء ، وتفسيخ الأطفال ، إلى تحطيم رؤوس الأطفال على الجدران . إلا بإرادة زرع الرعب والإرهاب .

الحقيقة العارية : إسرائيل / الكتائب

بمجرد دخول قوات الكتائب إلى المخيمين ، انقطعت الكهرباء عن بيروت الغربية بشكل مفاجئ وغرقت المدينة في ظلام دامس ، وبدأت القوات الإسرائيلية ، من بعد منتصف الليل ، في إطلاق القنابل المضيئة فوق سماء المخيمين . يقول أحد الجنود الإسرائيليين : كانت وحدته تطلق صاروخين مضيئين من عيار ٨١ ملم بالدقيقة ، وذلك لمدة ساعات عديدة ، واستخدم الإسرائيليون كذلك طيرانهم لإطلاق مزيدا من الصواريخ المضيئة على المخيمين .

وقد زود الجيش الإسرائيلي ، القوات اللبنانية الكتائبية ، بالخوذ والمعدات الأساسية ، بما في ذلك البزات العسكرية التي كانت مطابقة للبزة الإسرائيلية ، والفارق الوحيد أن عبارة " تساحال " ، استبدلت بعبارة " القوات اللبنانية " . وكذلك بالمعدات الثقيلة كالجرافات والبلدوزورات والسيارات العسكرية ،- كما زودوهم بالطعام وبالمشروبات . وقد وجد الصحفيون الذين دخلوا للمخيمين بعد انكشاف المذبحة ، الكثير من المخلفات التي تدل على هويتهم وعلى مساندة الإسرائيليين لهم ، مكتوب عليها بلغة عبرية . كتب الصحفي الأمريكي " توماس فريدمان " في جريدة نيويورك تايمز ، قائلا : إن المراسلين وجدوا علبا تحتوي على طلقات (أم ١٦) وعليها كتابة عبرية ، كذلك وجدوا غلف بسكويت والشوكولا من صنع إسرائيلي ، وبقايا حصص طعام للجنود من الصنع الأمريكي ".

وقد تلقى الجنود الإسرائيليون أوامر بعدم التدخل فيما يجري في المخيمين ، وبعدم الدخول إليهما ، بعد أن بدأوا يتساءلون وينتابهم القلق ، حيث أدركوا أن ما يجري في المخيم هو شيء آخر ، يختلف كثيرا عن معركة وقتال . ويقول أحد الجنود :" عند حلول الظلام مساء الخميس ، رأينا عددا من النساء الفلسطينيات من مخيم شاتيلا يتقدمن من مركزنا ، وقلن لنا في صراخ وزعيق أقرب إلى الهستيريا ، أن الكتائب يجوبون الشوارع ويطلقون النار على الأولاد ، ويرغمون الرجال على الانبطاح في الشاحنات . رفعت تقريرا بهذا إلى ضابطي الذين أجابوني " كل شيء على ما يرام ، لا تخشى شيئا ".

ورغم ذلك كان الجنود الإسرائيليون يحولون دون مغادرة اللاجئين المخيم ، ويأمرونهم بالعودة إلى بيوتهم ، وأحيانا بقوة السلاح ، يروي شهود عيان أن مجموعة من اللاجئين رفعوا الرايات البيضاء ، وحاولوا الخروج ، إلا أن الجنود عند الحاجز استوقفوهم ، فتقدم أحدهم وشرح لهم ما يجري ، وقال أن رجال سعد حداد يقتلون كل الناس ، غير أنهم تلقوا الأمر بالعودة إلى المخيم ، وعندما أظهروا شيئا من التردد جاءت دبابة إسرائيلية وصوبت مدفعها نحوهم وأجبرتهم على الرجوع .

إذا كان الهدف - كما تقول إسرائيل – من دخول بيروت هو البحث عن المقاتلين لما لم يسمح للنساء والأطفال والشيوخ الذين رغبوا بالخروج من خلال الحواجز الإسرائيلية بالمغادرة ؟

لقد كان الجيش الإسرائيلي على اطلاع تام بما يجري في صبرا وشاتيلا ، وأنهم شاهدوا بالمناظير – على حد قول أحد الجنود – أكواما من الجثث ، كما شاهدوا الرجال الذين يستعد الكتائبيون لإعدامهم رميا بالرصاص ، وكانوا يسمعون صراخ وعويل اللاجئين الذين كانت تطلق عليهم النيران أثناء فرارهم ، وكذلك كانوا يعلمون من رجال الكتائب أنفسهم الذين كانوا

يخرجون من حين لآخر من المخيم لطلب الأكل والشراب من المراكز والحواجز التي أقامها الجيش الإسرائيلي حول مخيم شاتيلا .

وبدأت الأخبار المتعلقة بالمذابح تفد إلى مقر القيادة العامة الإسرائيلية ، منذ مساء الخميس ٩/١٦ ، آتية من الحواجز والمراكز العسكرية القريبة من شاتيلا . فعقدت الحكومة الإسرائيلية جلسة في مساء الخميس ، قال فيها الجنرال رفائيل اتيان رئيس الأركان ، إن قوات الكتائب دخلت إلى مخيمي اللاجئين " لتطهيرهما من جيوب الإرهابيين " وأضاف : أن الاتصال دائم مع الكتائبيين ، وأن أعمالهم تتم بالتنسيق مع عمليات جيش الدفاع ".

وفي الساعة الحادية عشرة ليلا من مساء الخميس ، ابلغ قائد القوات الكتائبية تقريره إلى الجنرال الإسرائيلي "أموس يارون " آمر مدينة بيروت ، بالعبارات التالية :" قتلنا حتى الآن ٣٠٠ مدني وإرهابي " . ونقل هذا التقرير على الفور إلى هيئة الأركان ، واطلع عليه أكثر من ٢٠ ضابطا من كبار الضباط في تل أبيب ، ومثل هذا التقرير يرسل بالعادة إلى مكتب وزير الدفاع .

وقد أبصر الجنرال " يارون " بنفسه من مقر قيادته بالقرب من السفارة الكويتية ، صفا طويلا من الشيوخ والنساء فالتقط مكبر للصوت ، وقال لهم أن النساء والأطفال يستطيعون العودة إلى بيوتهم ، وأنهم لن يتعرضوا إلى شيء ، أما الرجال فقد اقتيدوا إلى ملعب المدينة الرياضية حيث اخضعوا للاستجواب حول مخابئ الإرهابيين ، وروى أحد الناجين : أنهم قالوا للمحقق بأن المقاتلين غادروا بيروت بالبواخر ، وهددوه برجال الكتائب وسعد حداد . وقد وجد في المدينة الرياضية بعد انكشاف المذبحة ٢٨ جثة مقيدة أيديهم ، و٤ جثث في المسبح .

وبدأت بعض التقارير الصحفية تشير منذ يوم الجمعة ٩/١٧ إلى وجود مذبحة في صبرا وشاتيلا ، كذلك بدأت اتصالات بعض الصحافيين الإسرائيليين بكبار القادة لاطلاعهم على المعلومات التي بحوزتهم حول المذبحة ، ولكن لم يتحرك أحد لاستطلاع ما يجري ، يقول المراسل العسكري للتلفزيون الإسرائيلي " رون بن ييشاي "، بعد أن سمع من الجنود الذين قضوا معهم ليلة رأس السنة العبرية في مواقعهم على أطراف مخيمي صبرا وشاتيلا ، عن إعدامات عشوائية وقتل متواصل في المخيمين على أيدي الكتائب ، قام بطلب وزير الدفاع شارون وأخبره بما سمعه من الجنود ، إلا أنه ـ كما يقول المراسل ـ " لم ينفعل الوزير ، شكرني، وتمنى لي سنة طيبة "، وانطباعي – الصحفي – أنه كان على علم بما يجري في المخيمين .

وعندما زادت التقارير من الجنود والضباط الإسرائيليين ، بأن ثمة حوادث غامضة ومشبوهة تجري في المخيمين ، قام رئيس الأركان بالسفر إلى بيروت والالتقاء بضباطه ، وبقائد الكتائب فادي افرام ، وبادر " اتيان " بتهنئة الكتائب على عملياتهم . وتم الاتفاق على تمديد مهلة

تطهير المخيمين ، إذ كانت المهلة السابقة محددة بثلاث ساعات فقط ، واتفقوا على مغادرة المخيمين صباح السبت ٩/١٨ . وبهذا يكونون قد أعطوا الكتائب ساعات إضافية للاستمرار في عملية التطهير / الذبح .

في ساعات الصباح (السبت ٩/١٨)، كان كل شيء هادئا في المخيمين ، ولم يعد شيئا يتحرك داخلهما ، والجثث مكومة فوق بعضها البعض ، اقتربت الدبابات الإسرائيلية من المخيمين ، مؤشرة بذلك إلى أن كل شيء قد انتهى ، وأخذ رجال القوات الكتائبية يصعدون الواحد تلو الآخر إلى سياراتهم وينسحبون من المكان إلى قواعدهم وشيئا فشيئا ، عاد السكان إلى الظهور ، وبدأ الذين تمكنوا من الفرار بالعودة ، وعمت فوضى رهيبة لا توصف ، عندما راح كل واحد يفتش عن أفراد عائلته ، وسط الأنقاض والجثث ، وسرعان ما تحول الصراخ إلى عويل ، وعند الظهر ، بدأت طلائع الجيش اللبناني تصل إلى المكان وتقفل المخيمين .

وبدأت وفود الصحافيين والمراسلين يتوافدون على صبرا وشاتيلا ، ويكشفون الحقيقة يلخص أحد الصحافيين شهادته ، قائلا : " صبرا وشاتيلا مجزرة من أبشع وأفظع المجازر التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية " .

لجان التحقيق : إسرائيل / الكتائب :

في كل المذابح التي تعرض لها الشعب الفلسطيني ، شكلت لجان تحقيق ، ماذا كانت النتيجة ؟ لقد أدانت لجنة التحقيق الإسرائيلية " شارون " وحملته المسؤولية ، وبعد سنوات تم انتخابه رئيسا للوزراء ليواصل مهمته في ذبح الفلسطينيين .

في مذبحة صبرا وشاتيلا شكلت الحكومة اللبنانية لجنة تحقيق برئاسة المدعي العام العسكري اللبناني " أسعد جرمانوس " ، وهو من أشد الكارهين للفلسطينيين ، الذي برأ الكتائب من تهمة ذبح الفلسطينيين ، وألصق التهمة برجال سعد حداد ، لأن الكتائب جزء من الجيش اللبناني ، أما سعد حداد فهو منشق عن الجيش اللبناني وعميل لإسرائيل .

أما الحكومة الإسرائيلية فقد رفضت تشكيل لجنة تحقيق في البداية ، وقال مناحيم بيغن : غوييم يقتلون غوييم ، ويتهمون إسرائيل " ولكن تحت ضغط الرأي العام الإسرائيلي الذي استنكر المذبحة بشدة ، وخرجت مظاهرات واحتجاجات عارمة ، حتى شهدت تل أبيب مظاهرة من (٤٠٠ ألف) يهودي وعربي يوم ٢٥ / ٩ ، جعلت الحكومة ترضخ وتشكل لجنة تحقيق . وقد حملت تلك اللجنة شارون مسؤولية المذبحة .

وتناقضت الآراء والمواقف في لجان التحقيق ، الكل يحاول أن يدفع عن نفسه التهمة ، ولكن كانت الحقيقة واضحة ، تؤكد بقوة الدور الإسرائيلي في إنتاج المذبحة . فقد كتب المراسل العسكري لجريدة معاريف ، أن القيادة الإسرائيلية تعرف أسماء الضباط الكتائبيين الذين دخلوا إلى المخيمين ، وهم لا ينون في الوقت الحاضر ، نشر الأسماء خوفا من توسيع الهوة بينهم وبين المسيحيين في لبنان " .

ورغم مرور أربعة وعشرين عاما على مذبحة صبرا وشاتيلا لم يقدم الجانب الفلسطيني الرسمي أو اللبناني الرسمي ، إحصاء دقيقا لعدد الشهداء الذين سقطوا في المذبحة ، بل إن كل الأعداد التي ذكرت تناقضت في ما بينها لتعدد المصادر . وقد حاولت لجان التحقيق اللبنانية والإسرائيلية التقليل من عدد الشهداء إلى ما بين ٤٠٠-٨٠٠ شهيد ، إلا أن الدراسة الإحصائية القيمة التي قدمتها " بيان الحوت " ذكرت أن العدد الموثق للشهداء هو (١٣٠٠) شهيد ، والعدد التقديري (٣٥٠٠) شهيد . وأشار " كابليوك " في تحقيقه إلى أن عدد الشهداء تراوح ما بين ٣٠٠٠ ــ ٣٥٠٠ شهيد .

وهؤلاء الشهداء توزعوا على اثني عشرة جنسية ، كان للفلسطينيين منهم النصيب الأعلى ، إذ كان من بين القتلى : فلسطينيون ، لبنانيون ، سوريون ، مصريون ، باكستانيون ، سودانيون ، جزائريون ، إيرانيون، تونسيون ، أردنيون ، بنغلادشيون ، وأتراك .

وتبقى صبرا وشاتيلا واحدة من مئات المذابح التي ارتكبتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني ، والشعوب العربية ، ماذا فعلت الجامعة العربية والأنظمة العربية لتدافع عن ذبح الشعوب العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة ؟! .

---

* كاتب وباحث، مدير عام المركز القومي للدراسات والتوثيق ـ غزة .

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.